

تداعيات اغتيال المفتي كحول بن دالي على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمؤتمر الإسلامي الجزائري 1936 - 1939

الأستاذ الدكتور / لونيبي إبراهيم

جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

lounicib@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019-10-31 تاريخ القبول: 2019-11-11 تاريخ النشر: 2019-12-26

Abstract :

The Islamic Conference held in Algeria during the summer of 1936, which included many political currents in Algeria, is a basic station in the developments of the Algerian national movement, which made the colonial administration shake for its convening and is highly suspicious of it by the Muslim Scholars Association, which made it the plot to assassinate the Mufti Dali and accuse Sheikh al-Tayeb al-Aqbi in order to hit the conference and its fragmentation, and to create a destabilization within the Association of Algerian Muslim Scholars. This study mainly seeks to answer two basic questions: 1. The importance of the Algerian Islamic Conference 2. What are the implications of the assassination of the Mufti Kuhoul Ben Dali, on both the conference and the Assembly.

key words: Algerian National Movement / Islamic Conference / Association of Muslim Scholars / Algerians Assassination / Assassination and conspiracies

الملخص

يعد المؤتمر الإسلامي المنعقد بالجزائر خلال صيف 1936 و الذي ضم العديد من التيارات السياسية الجزائرية محطة أساسية في تطورات الحركة الوطنية الجزائرية الامر الذي جعل الادارة الاستعمارية تهتز لانعقاده و ترتاب منه بشكل كبير خاصة من رجالات جمعية العلماء

المسلمين الامر الذي جعلها تدبر مكيدة اغتيال المفتي كحول بن دالي و تهتم في ذلك الشيخ الطيب العقبي بهدف ضرب المؤتمر و تشتيته و كذلك احداث زلزال داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. و هذه الدراسة تسعى اساسا الى الاجابة على سؤالين اساسيين و هما: 1. اهمية انعقاد المؤتمر الاسلامي الجزائري 2. ما هي انعكاسات عملية اغتيال المفتي كحول بن دالي على مسار المؤتمر و الجمعية على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: الحركة الوطنية الجزائرية / المؤتمر الاسلامي / جمعية العلماء المسلمين / الجزائريين / الاغتيال و المؤامرة

لكل شعب من شعوب العالم سنوات معلمية تاريخية تبرز مع تعاقب السنوات والعقود عبر مختلف مراحل تطورها التاريخي، وهي سنوات حدثت فيها أحداث مصيرية تنعكس بشكل مباشر على تطوراتها اللاحقة، ومن الممكن أن يمتد ذلك إلى العديد من العقود من الزمن، والجزائر كشعب وكدولة لها العديد من السنوات المعلمية التي تميزت بأحداث تاريخية بارزة كانت لها تأثيرات واضحة على مستقبل الشعب الجزائري، وهذا لا يعود فقط إلى فترة ما بعد استعادة السيادة الوطنية في 5 جويلية 1962، بل إلى ما قبل ذلك لعقود وعقود، ومن بين هذه السنوات المعلمية التي لها مكانة مميزة في تاريخ الجزائر المعاصر سنة 1936 التي شهدت أول تجمع سياسي شعبي حضرته جلّ التيارات السياسية والفكرية التي كانت تنشط على الساحة الجزائرية، فقد ضم بداخله أصحاب التوجه الاندماجي والمساواة والشيوعيين ودعاة الإصلاح الديني والاجتماعي، والذي أطلق عليه اسم "المؤتمر الإسلامي الجزائري" والذي التأم شمله في اليوم السابع من شهر جوان 1936 ويقول عنه أبو القاسم سعد الله أنه «أول تجمع من نوعه في الجزائر، فلم تعرف الجزائر طيلة أكثر من قرن تجمعا تشترك فيه كل الاتجاهات وتمثل فيه كل الطبقات، وتبرز خلاله وحدة الصف والكلمة على مطالب معينة»¹.

كما أنه خلال هذه السنة دخل مصالي الحاج زعيم الاتجاه الاستقلالي إلى أرض الجزائر، بعد عقد ونيف حيث سمعه الشعب الجزائري عند حضوره للتجمع الشعبي الذي انعقد في الملعب البلدي لمدينة الجزائر (ملعب 20 أوت حاليا) في 02 أوت 1996. بمناسبة رجوع الوفد الإسلامي من باريس التي كان قد توجه إليها في 18 جويلية حاملا معه مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري، حيث قال في خطابه: «... إنني فرح كثيرا بأن أقف في هذا اليوم بين أيديكم، بعد أن تغربت عن وطني مدة اثني عشر عاما، وأكلمكم بلغة الأم وأصارحكم بأنني فرح كثيرا إذ وضعت أرجلي بعد هذه المدة الطويلة بأرض وطني ووطن أجدادي، وأقول لكم كم تأملت في نفسي بهذه الغربة الطويلة»²، وهنا بدأ مصالي الحاج وحزبه نجم شمال إفريقيا، الذي سيحول اسمه إلى حزب الشعب الجزائري بدءاً من سنة 1937، مرحلة جديدة وخصبة جدا من النضال السياسي من أجل تحرير الجزائر.

وخلال هذا التجمع الشعبي وقعت حادثة خطيرة جدا وهي عملية اغتيال المفتي محمود كحول بن دالي، موضوع هذه الدراسة، وهنا نتساءل عن سر اغتيال المفتي في هذا اليوم تحديداً وفي نفس توقيت وقوع التجمع في حدود الساعة العاشرة ونصف صباحاً؟ وما هي أسباب توجيه أصابع الاتهام لأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رفقة أحد زملائه وهما الطيب العقبي وعباس تريكي؟ فهل كان هناك مخططاً لتفجير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي بدأت تحقق نتائج هامة وملموسة على أرض الواقع، أمام الفشل الذريع الذي منيت به الطريقة ورجال الدين الموالين للإدارة الاستعمارية في الوقوف في وجه زحف الجمعية وتغلغل أفكارها الإصلاحية داخل مختلف أطباف الشعب الجزائري، وهذا بعد أقل من خمس سنوات من ظهورها على مسرح الأحداث الجزائرية؟ أم أن فرنسا من خلال هذا العمل كانت

تسعى إلى القضاء على روح التعاون والتضامن والاتحاد التي بدأت تظهر بين مختلف الأطياف السياسية والثقافية والاجتماعية التي كانت تنشط على الساحة الجزائرية آنذاك، ورأت أن تنامي هذه الروح سينعكس بشكل سلبي وخطير على مستقبل تواجدها في الجزائر، خاصة وأن هذه الروح بدأت تتشكل مباشرة بعد تلك الاحتفالات الصاخبة التي نظمت بمناسبة الذكرى المئوية الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، والتي أشيع خلالها أن الجزائر قد أصبحت فعلا فرنسية، ولن تقوم لها قائمة مرة أخرى.

المؤتمر الإسلامي الجزائري يرهب فرنسا وأربابها !!

مما لا شك فيه أن هذا التجمع أربب فرنسا وأربابها وأدخل الخوف في أوصالهم، لأنه لأول مرة يحدث تجمع جزائري بذلك الحجم حيث تجاوز عدد الحاضرين فيه سبعة آلاف شخص على حد قول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي «أن الأمة الجزائرية كلها حشرت في هذا المؤتمر وإن قدرت الجرائد الفرنسية من ضمتهم قاعة المؤتمر³ بخمسة أو ستة آلاف شخص وحرزناهم نحن بسبعة آلاف أو يزيدون»⁴، ولقد التقت فيه كل التيارات والأطراف السياسية الجزائرية النشطة داخل الجزائر، بل وكذا كل فئاته المجتمعية.

ويقول محمد البشير الإبراهيمي في وصف ذلك: «ما كادت الساعة المقررة لافتتاح المؤتمر تدق، حتى كانت قاعة (الماجستيك) الفسيحة وإيوانها الفخم وشرفاتها كلها، مكتظة بالوافدين من الأقطار الثلاثة - أي المقاطعات - فكان منظرا مؤثرا، وإن الناظر ليدرك لأول نظرة أن طبقات الأمة كلها تمثلت في المؤتمر، فترى العامل والتلميذ، والفلاح، والغني والفقير

والوجه، والخال، والفتى، والشيخ، ممتزجين متلاصقين، فتحكم بالبداهة كيفما كان سنك وحظك من شهود المجتمعات أنه أول مشهد من نوعه شهدته في عمرك بهذا الوطن»⁵.

يحدث كل هذا بعد أن كانت الإدارة الاستعمارية ولعقود طويلة تستثمر في الخلافات الكثيرة الموجودة بين مختلف هذه التيارات التي التقت في السابع من شهر جوان 1936 «لم يمض على الجزائر الإسلامية في تاريخ ارتباطها السياسي بفرنسا، يوم أغر محجل، تمثلت فيه الأمة روحا وجسما، وتلاشت فيه الفوارق الاعتبارية لهذا اليوم، ففيه التقى، عن فكرة وعقيدة، الجزائري بأخويه القسنطيني والوهراني، وفيه اجتمع على تلك الفكرة المصلحون والطريقون وعلماء الدين ورجال السياسة، والشيوخ والشبان، والتجار والفلاحون، والعمال، جمعت الكل صفتا الإسلام والجزائرية، ووحدهم قسوة الأيام، وألفت بينهم الحن والهموم، فاندفعت ألسنتهم تبعرغائب الدين بلغة الدين، وعن رغائب الدنيا بلغة السياسة»⁶.

ونسجل هنا أن وقوع هذا الاجتماع في حد ذاته يعد منعرجا مهما في تاريخ تطورات النضال الجزائري، وهذا بغض النظر عن قراراته ومدى فاعليتها، وهل تستجيب لها الإدارة الاستعمارية؟ أم لن تستجيب لها؟ فهذا اليوم على حد تعبير الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي هو «يوم الجزائر المشهود الذي يحق لها أن تبدأ به تاريخها الجديد، ففيه تجلى تضامن الجزائر الإسلامية وإخاؤها واتحادها»⁷.

وهذا رغم غياب بعض الأطراف الجزائرية عن المؤتمر بل ومعارضته معارضة علنية مثل جمعية علماء السنة المسلمين الجزائريين وبعض الطريقة وأنصارهم من النواب المسلمين حيث اعتبروا هذا التجمع حزبيا تغلب عليه الشيوعية واعتبروا أن «الجمع الخشود يمثل هذا

التسرع هو كالفرد الغير المفكر، فلا يلبث أن يكون فريسة قريبة المآخذ لكل مرجف طائش طبعه الاستسلام لأحلام اليقظة»⁸، واعتبروا هذا المؤتمر «مثل فاكهة وقع نضجها بعمليات كيمياوية لا يستمرئها المتعودون لذاذة الفاكهة الناضجة بطبيعتها، وعلاوة على هذا الاندفاع وآثاره السيئة كما هو المتوقع، فإن المؤتمرين أوغلوا وأفرطوا إفراطا ربما حدثوا أنفسهم بأن من يريد الحصول على المطلوب يجب أن يطلب ما فوق الواجب، وقد خدروا بذلك أعصاب الأمة بإعطائها العفيون الذي هو محرم في ديننا شرعا وقانونا على أنه دواء ناجع وهذه فكرة خاطئة حقا»⁹.

ولقد كتبت الكثير من المقالات في جرائد وصحف مختلفة توجه للمؤتمر انتقادات كثيرة ومختلفة، والهدف منها هو تقرب أصحابها من الإدارة الفرنسية وحتى يزداد رضا هذه الإدارة على هؤلاء، ونذكر هنا على سبيل المثال ذلك المقال الذي كتبه المدعو سي صالح الطيب النائب العمالي عن قسم برج منايل والذي نشره على صفحات (لادياش الجيريان) في عددها الصادر بتاريخ 13 جوان بعنوان (الاتحاد للصالح العام) حيث نصّب فيه نفسه محاميا للدفاع عن السيد م. ميشال رئيس الجمعية الدينية الإسلامية بالجزائر في الكلام الذي قيل في حقه خلال المؤتمر على لسان الطيب العقبي، ولقد قام هذا الأخير بترجمة هذا المقال على صفحات جريدة البصائر في عددها الصادر يوم 19 جوان 1936، وما قام به العقبي في كلمته في المؤتمر هو التنديد بقرارات السيد ميشال أو منشوره الخاص بغلق المساجد في وجوه علماء الأمة الأحرار، وكذا التنديد بحله للجمعية الدينية بالجزائر، حيث كتب السيد النائب في مقاله أنه خلال هذا المؤتمر «ارتكبت فيه هفوات كما يقع طبعاً في كل شيء جديد وفي كل حركة حديثة الوجود، ونحن فيما يخصنا نأسف جد الأسف لصدور كلام خرج به صاحبه عن

الحدود، وكان له أسوأ الأثر في روعة المؤتمر... ولا نقبل ولا نرضى. بما صدر من الشيخ الطيب العقبي الذي كنّا ننتظر منه شيئا جديدا ومفيدا، وإذا به اكتفى بإلقاء خطاب شديد حمل فيه حملة عنيفة على السيد ميشال الكاتب العام بإدارة العمالة، وليس هو في الواقع إلا موظفا من موظفي الحكومة الجمهورية...». ولقد قام الطيب العقبي بالرد بشكل قوي وقاس جدا على ما جاء على لسان هذا النائب في حلقة ثانية من مقالاته ونشرها في العدد الصادر يوم 10 جويلية 1936 من جريدة البصائر والذي كان بعنوان (اقرأوا وتعجبوا أيها المسلمون).

وبشكل عام فإن الشكل الذي ظهر به هذا المؤتمر والطريقة التي نظم بها، وكذا بعض مطالبه العملية التي تمخضت عنه¹⁰ هي التي ولدت هاجس الخوف داخل الإدارة الاستعمارية من التطورات التي من الممكن أن تترتب عن هذا الاجتماع، وبالتالي فقد كان لزاما عليها أن تقوم بوضع حد لأي طارئ يمكن حدوثه، وهو ما سيحدث بعد مرور حوالي شهرين من هذا التجمع الشعبي كما سنرى ذلك في الفقرة الموالية.

إن الإدارة الاستعمارية الفرنسية من خلال تتبعها الحثيث لنشاطات رجالات الجزائر وتحركاتهم المختلفة، رأت أن لرجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسهم رئيسها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس الدور البارز في الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر والتحضير له وتنظيمه، فصاحب الفكرة الأول هو رئيس الجمعية ابن باديس الذي طرحها خلال بدايات شهر جانفي 1936 وهو ما تجمع عليه جل المصادر التي تناولت المؤتمر الإسلامي بالدراسات والتحليل.

يذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته، أن الشيخ عبد الحميد بن باديس دعا أعضاء المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين لحضور اجتماع طارئ في أواخر سنة 1935، وخلال الاجتماع قال لهم ابن باديس: نظرا لتدهور الحالة العامة في الجزائر والبليلة السياسية السائدة واختلاف الأحزاب والهيئات الوطنية وتشتتها رأيت أن أدعو إلى مؤتمر إسلامي جزائري عام، يجمع الشمل ويوحد الصف، ويحدد الهدف لأن المرجع في أمور الأمة يعود إلى الأمة، والواسطة لذلك هي المؤتمرات والندوات التي تفحص فيها الأمور وتتحصن النتائج، والإجماع أصل من أصول تشريعنا الإسلامي، فلماذا لا نعمل به في السياسة لهذا جمعتمكم لأستطلع رأيكم، وأطلب منكم الموافقة على توجيه الدعوة باسم جمعية العلماء إلى مثقفي العربية والفرنسية والنواب والأحزاب، وكل من يهمه أمر البلاد والعباد من الطوائف والمنظمات الوطنية، نعقد هذا المؤتمر في العاصمة لمناقشة الحالة الراهنة وتدارس أبعادها ونتائجها السلبية والإيجابية. ويواصل خير الدين شهادته بالقول أن كل الحاضرين وافقوه على الفكرة وعلى توجيه الدعوة باسمه ونشرها في جريدة (الدفاع) (لاديفانس) للأستاذ العمودي وظهرت في العدد الصادر بتاريخ 03 جانفي 1936¹¹.

ويؤكد أبو القاسم سعد الله أن فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري ينسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، ففي حديث له إلى صحيفة (الدفاع) التي كان يديرها السيد الأمين العمودي بالفرنسية والتي كانت لسان الحركة الإصلاحية دعا ابن باديس إلى اجتماع جميع الأحزاب الجزائرية في مؤتمر إسلامي أو جبهة وطنية لوضع قائمة من المطالب التي يطلبها الجزائريون من فرنسا وكان تاريخ هذه الدعوة هو يناير 1936¹²

والشيء نفسه تقريبا يذكره محفوظ قداش الذي يقول أن ابن باديس يرى أن تحديد الوضع السياسي للجزائر لا يمكن أن يناقشه رجل واحد ولا مجموعة واحدة بل يخص كل ممثلي الشعب الجزائري وقادته، وهذا الرأي نشر على صفحات جريدة (الدفاع) في عددها الصادر في 3 جانفي 1936، ويذكر قداش أيضا أن العمودي أعاد طرح الفكرة التي أطلقها الشيخ ابن باديس مرة أخرى ونشر مقالته تحت عنوان (المؤتمر الضروري) في العدد الصادر يوم 10 جانفي 1936.¹³

ويؤكد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في مقالته المطولة والمنشورة في مجلة الشهاب الصادرة في جويلية 1936 بعنوان (يوم الجزائر) أن التاريخ المنصف يسجل أن فكرة المؤتمر الإسلامي الجزائري هي للأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، فقد نشر في جريدة (لاديفانس) في عددها الصادر في 3 جانفي 1936 آراء له في السياسة الجزائرية كان لها وقع عظيم «ومن تلك الآراء التي ارتأها الأستاذ عقد مؤتمر إسلامي جزائري، فكان أول من فكر في عقد هذا المؤتمر قبل فوز الجبهة الشعبية بأشهر، وللأستاذ... آراء في شؤون الأمة، والواسطة كذلك هي المؤتمرات»¹⁴.

ويجب علينا أن نسجل هنا أن دعوة الشيخ بن باديس إلى عقد مثل هذا المؤتمر جاءت فعلا قبل وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا وهو ما جعل أبو القاسم سعد الله يقول أن المؤتمر كان سيعقد حتى لو لم تتول الجبهة الشعبية الحكم في فرنسا، فابن باديس لم يطرح موضوع المؤتمر بدافع من الجلو الجديد الذي ساعدت عليه الجبهة بل إنه فعل ذلك أيام كان «قرار رينيه ما يزال كالسيف المسلط على الحريات المدنية»¹⁵.

ولكن مهما يكن فإنه بدون شك كان لوصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا في نوفمبر 1936 دور بشكل أو بآخر في انعقاد هذا المؤتمر الذي تفاعلت فكرته مع المشروع الذي طرحته هذه الحكومة على الساحة الجزائرية وهو المشروع القديم الجديد الذي أصبح يحمل اسم مشروع بلوم فيوليت¹⁶، وبعد مرور حوالي سبعة أشهر على طرح الفكرة من الشيخ الإمام ابن باديس والتي تلقفها الدكتور محمد الصالح بن جلول وتبناها هو بدوره وشرع في العمل من أجل تجسيدها في أرض الواقع خاصة بعد طرح مشروع بلوم فيوليت على الساحة، فتقرر في 17 ماي 1936 خلال اجتماع ترأسه العمودي وابن باديس وابن جلول إنشاء لجنة مهمتها القيام بالدعاية بين الجماهير الشعبية من أجل عقد مؤتمر إسلامي جزائري على أن ينظم هذا المؤتمر خلال شهر جوان 1936 ومهمته ضبط برنامج إصلاحات كامل. ولقد عين على رأس هذه اللجنة كل من ابن باديس وابن جلول، ولقد تجسدت الفكرة على أرض الواقع يوم 7 جوان، وكان للجمعية في كل هذا الدور الأكبر والأبرز من حيث التحضير للمؤتمر ويبرز ذلك أيضا من خلال التسمية التي أطلقت عليه وهو (المؤتمر الإسلامي الجزائري) والذي تقرر خلال الاجتماع التمهيدي الذي انعقد في نادي الترقى المقر الرسمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وليس هذا فقط بل قام بعض رجالات الجمعية خلال هذا الاجتماع التمهيدي وعلى رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي بطرح فكرة كانت في غاية الأهمية والخطورة في آن واحد وهي ضرورة إلغاء البرامج التي تتبناها مختلف هذه التيارات «لأنها وضعت في ظروف ضيقة وبنيت على اعتبارات فردية، وفي بعضها ما لا يتفق مع الرغائب الجزائرية الإسلامية، وفي بعضها ما يتصادم مع الذاتية الجزائرية الإسلامية ووضع برنامج إسلامي جزائري روحا ومعنى واسما... وكان من حسن التوفيق أن رجعت الآراء إلى هذا الرأي... وعلى عدم اعتبار البرامج القديمة أساسا له، وهي المطالبة بحقوق المسلم الجزائري السياسية تامة

غير منقوصة مع المحافظة التامة على أحواله الشخصية الإسلامية تامة غير منقوصة مع إصلاح
الخلل الواقع فيها الآن...»¹⁷.

والسؤال الذي ينبغي علينا طرحه هنا هو: هل لو نجح المؤتمر الإسلامي الجزائري
وواصل عمله بعد 1938 ولم تتسبب عدة عوامل في انهياره، هل كان من الممكن أن يتحول
إلى حزب سياسي مثل حزب المؤتمر الوطني الهندي على سبيل المثال، أو على شاكلة حزب
الوفد المصري؟

وبعد كل هذا يجب علينا أن نشير إلى ما أورده أحمد توفيق المدني في مذكراته أن
مشاركة جماعة من العلماء في المؤتمر كان باسمهم الخاص، لا بصفتهم أعضاء في جمعية العلماء
المسلمين الجزائريين¹⁸ وهو رأي شاذ انفرد به أحمد توفيق المدني دون المصادر الأخرى التي
تناولت هذا الموضوع والتي تجمع كلها على أن هؤلاء العلماء شاركوا في هذا المؤتمر باسم
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ولقد وصل الاتفاق والانسجام بين الذين حضروا للمؤتمر ونظموه إلى تجاوز إشكالية
اللغة، ولم يحدث هناك تعصبا لا للغة العربية من طرف ممثلي الجمعية، ولا للغة الفرنسية من
طرف النواب ودعاة المساواة والاندماج الذين كانوا متشبعين باللغة الفرنسية وثقافتها، ويذكر
الإبراهيمي في هذا الشأن أن الدكتور ابن جلول رئيس المؤتمر «قد تعرض في الاجتماع
التمهيدي للمؤتمر للغة المؤتمر، وهل تقع المفاوضات والمحادثات فيه بالعربية أو الفرنسية، فحكم
الواقع في المسألة وهو أن تكون الخطب السياسية باللغة الفرنسية لتتأدى المعاني بألفاظها
الاصطلاحية، وليكون مراد المؤتمر منها واضحا لا شبهة فيه، وليكون صدى المؤتمر مطابقا

لحقيقته ولتسهيل مهمة الصحفيين الأوروبيين وأن تكون الخطب المتعلقة بالمطالب الدينية من علماء الدين باللغة العربية»¹⁹.

وبفعل انغماس جمعية العلماء المسلمين في التحضير للمؤتمر وانعقاده بل ومشاركة بعض أعضائها البارزين الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي في الوفد الذي شكل خلال المؤتمر لرفع مطالبه إلى السلطات الفرنسية، تم اتهامها بالاشتغال في الأمور السياسية وهو ما يتناقض مع ميثاقها الأساسي الذي أعلنته الجمعية يوم تأسيسها في 5 ماي 1931، ويعلق الشيخ الإبراهيمي على هذه التهمة: «وإنك لتسمع بعض الألسنة التي تترجم عن قلوب جاهلة أو مريضة تردد هذا السؤال: ما معنى مشاركة العلماء في مؤتمر سياسي؟ كأنهم يريدون تخويفنا بهذا القول الموهوم غول السياسة، وتفويت الفرصة علينا. تمثل هذه الترهات، وكم أضاعت هذه الترهات على الفاضلين من فرص! وإننا لنعلم أن وراء الأكنة، شخوصا محتبئة، في كيد الأبالسة وخفاء الجنة، وإن هذه الشخوص جربت العلماء فوجدتهم لا يلينون لغامر فيسوءها أن ينعقد المؤتمر، ويسوءها بنوع خاص أن يشارك العلماء فيه، فيكتسب قوة من قوتهم، وثباتا من ثباتهم، ولونا راسخا مما عرضوا به من الرسوخ...»²⁰.

من خلال كل هذا يمكن لنا القول أن الإدارة الاستعمارية قد وصل بها الغضب على الجمعية إلى حد جعلها تفكر جديا في توجيه ضربة موجعة لها جزاء لما فعلته ولدورها في تحريك الجزائريين ودفعهم إلى ضرورة توحيد كلمتهم لافتكاك حقوقهم. فماذا فعلت الإدارة الاستعمارية لضرب الجمعية ومن خلالها تفجير المؤتمر والقضاء عليه وهو ما يزال في مرحلة الرضاغة، وقبل أن يتم فطمه؟

اغتيال المفتي كحول يدخل الجمعية في عين الإعصار

تنفيذا لما تقرر خلال المؤتمر الإسلامي الجزائري تم تشكيل في كل قسم من العملات الثلاثة هيئة تسمى (لجنة المؤتمر) مشكلة من ممثلين عن العلماء والنواب والشباب، مهمتها الدعاية للمؤتمر في الأوساط الشعبية والتوعية العامة ويشرحون لأعمال المؤتمر وقراراته، ويبينون فوائده وثمراته الحاصلة والمرجوة، ويدعون الأمة إلى حمايته وتأييده وأن تقدم كل لجنة من لجان المؤتمر الفرعية هذه ممثلا عنها في اللجنة التنفيذية حتى تكون لهذه اللجنة الصبغة الوطنية وأن يتم كل ذلك قبل 5 جويلية 1936، حيث تقوم هذه اللجنة التنفيذية بعقد اجتماع لها في 5 جويلية بنادي الترقى بالجزائر، وستقوم هذه اللجنة بطبع مطالب وقرارات المؤتمر باللغتين العربية والفرنسية في كراسة تسمى "قرارات المؤتمر الإسلامي الجزائري". ويتم بعدها تشكيل الوفد الذي سيسافر إلى فرنسا حاملا معه مطالب المؤتمر لتقديمها إلى الحكومة الفرنسية بباريس²¹، ولقد سافر الوفد فعلا انطلاقا من ميناء مدينة الجزائر يوم السبت 18 جويلية 1936.

وكان من شأن كل هذا أن يقوم بنشر الوعي السياسي في أوساط الجزائريين، وبالتالي فتح أعينهم على قضايا وأمور لم يكونوا يعرفونها عنها أي شيء، بل ولم يسمعوا بها نهائيا بسبب سياسة التطويق والغلق التي كانت تمارسها الإدارة الاستعمارية على الإنسان الجزائري، كما أن الوفد الذي سافر إلى فرنسا عمل على التعريف بالقضية الجزائرية عن قرب ومن أفواه المعنيين بهذه القضية وذلك من خلال مختلف النشاطات والمقابلات التي أجروها هناك مع بعض المسؤولين الفرنسيين، وهو ما لخصه عبد الحميد بن باديس بشكل جلي في خطابه للجماهير التي حضرت التجمع الذي عقده الوفد في مدينة الجزائر بعد رجوعه من فرنسا حيث قال

مخاطبا الشعب: «... كونت هذا الوفد الكريم فحملته مطالبك فاضطلع بها، وأدى الأمانة في ثمانية أيام، وهي لا تؤدي إلا في أضعاف ذلك من الأيام، وفد... مثلك في قوتك وإرادتك وحياتك وكرمك، وفد متحد متعاون متساند، زار الوزارات والأحزاب وأرباب الصحف، فعرفك إليها ورفع إليها صوتك، ولقد كدت تكون أيها الشعب مجهولا عندهم تمام الجهل، لكن بأعمالك العظيمة، وبما قام به الوفد، صرت معلوما لدى من يعرف الحق، ويحترم الكريم، وينصف المظلوم...»²².

وتقرر عند رجوع الوفد من فرنسا أن يقوم بتقديم عرض عام للشعب عن ما قام به من نشاطات، وكان ذلك يوم 2 أوت 1936 بالملاعب البلدي، وفي الوقت ذاته وفي ليلة ظلماء حيكت مؤامرة لضرب المؤتمر الإسلامي والجمعية معا، وبالتالي يمكن القول أن تحديد هذا اليوم لتنفيذ المؤامرة لم يكن اعتباطا ولا عشوائيا، بل كان بتدبير محكم من الجهات المستفيدة مما سيحدث في هذا اليوم من عملية اغتيال المفتي كحول بن دالي، وأهدافهم كانت مفضوحة منذ البداية، وهي إفشال مساعي التيارات السياسية الجزائرية من أجل توحيد مجهوداتها ونضالها المشترك، وكذا من أجل تفجير جمعية العلماء المسلمين من الداخل وذلك بسبب الدور البارز والهام الذي كان رجالات الجمعية يقومون به في هذا المجال، ومن بينهم الشيخ الطبيب العقبي الذي ألقى على كاهله مهمة تدبير عملية اغتيال الشيخ كحول بن دالي وتحديد هذه الشخصية بالذات لإلقاء التهمة عليه لم يكن اختيارا عشوائيا، بل تم ذلك بدون شك بعد دراسة وتحليل الشخصيات المختلفة التي لعبت دورا بارزا في المؤتمر من داخل الجمعية، كما لم يكن أيضا اختيار المفتي كحول لاغتياله اختيارا عشوائيا، بل كان مدروسا لوجود سبب معقول للقيام بقتله من أحد رجالات الجمعية في حسابات الإدارة الاستعمارية.

إذ أن الجميع كان يعرف بتلك الخلافات الموجودة بين الرجلين وهذا شهادة أحد معاصريها وهو عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون الذي يقول: «لقد عرفت الشيخ محمود كحول رجلا مسلما صميما ولكنه متشدد في المحافظة على القديم، مهما كانت صفته، ولذلك نشبت المعركة بينه وبين العقبي لما جاء هذا وصرح بمذهبه المتشدد أيضا في الإصلاح الديني، وجرت هذه الحالة كلا منهما لاستعمال كل وسيلة لكبح جماح الآخر»²³، وهنا نتساءل ما هي ملابسات هذه القضية؟

يعد محمود كحول بن دالي أحد رجال الثقافة وعلماء الدين في الجزائر وهو ما دفع بأبي القاسم سعد الله إلى القول عنه: «لو سخر قلمه لفائدة الدين والعلم والوطن لقدّم فائدة كبير لأنه كان متعلما قويا»²⁴. ولد في حدود سنة 1870 بقسنطينة وتتلّمذ على الشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ حمدان الونيسي، وتولى العديد من الوظائف منها التدريس في المدرسة الابتدائية الفرنسية الكائنة في سيدي مسيد بقسنطينة، ثم اشتغل محررا في جريدة المبشر، وفي 1907 عهد إليه مهمة تحرير جريدة كوكب إفريقية التي تأسست في عهد الوالي العام شارل جوناك كما تولى أيضا مهمة الإمامة والتدريس في مدرسة الجزائر الشرعية-الفرنسية، وفي 1935 عين مفتيا حنفيا لمدينة الجزائر. ولقد أسدت له فرنسا وسام جوقة الشرف (الليجون دونور) نظير الخدمات التي قدمها للإدارة الفرنسية، وآخر هذه الخدمات التي قدمها وكانت سبب اغتياله بشكل أو بآخر وضع توقيع على رسالة وجهت إلى رئيس الحكومة الفرنسية يتهم فيها العلماء بالاشتغال بالسياسة وبالمغامرة وبعدم صدق تمثيلهم للشعب، وأهم ما جاء في هذه البرقية كما يورده محفوظ قداش: «علمنا أن وفدا من بضعة منتخبين لا يمثلون البعد الإسلامي للبلد والعلماء الجزائريين المزعومين لا شهادة لهم ولا مستوى قد توجه إلى باريس

بهدف تقديم مطالب سياسية ودينية لأهالي الجزائر. إننا نشجب وفدا ليس مؤهلا تماما ولا يتمتعون بأي تفويض للكلام، ونحتج بقوة على تدخله في الأمور الخاصة بديننا... فالعلماء المسلمون تنبذهم الأغلبية العظمى للمسلمين ولا يمثلون إلا حفنة من المشوشين الذين يحاولون زرع البلبلة في البلد...»²⁵. ويذكر قداش أن هذه البرقية لم تكن موقعة فقط من كحول إنما وقعها معه أيضا بن زكور والإمامين أمين قدور وبابا عمر، مهما يكن من حقيقة هذه البرقية فإن المعروف أن المفتي كحول بن دالي كان من أشد المعارضين للمؤتمر الإسلامي والموالين المخلصين لفرنسا في ظاهر الأمر، وبالتالي ليس بالأمر الغريب أن يتم اختيار هذا المفتي ككبش فداء لما كانت تخطط له الإدارة الاستعمارية وأعوأها المتحالفين معها، واستعمال حادثة الاغتيال كحجة لضرب جمعية العلماء والمؤتمر الإسلامي في الصميم، ويقول أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن: «فعلى نجاح المؤتمر الإسلامي اغتيال المفتي - كحول بن دالي - لماذا؟ ادعت السلطات الفرنسية أن العلماء هم الذين دبروا اغتياله لأنه كان معارضا للمؤتمر ومعارضاً لإرساله وفدا إلى باريس لتقديم المطالب المتفق عليها إلى الحكومة الفرنسية»²⁶، ويقول أيضا في السياق نفسه: «ولعل اتهام العقبي بالذات كان مقصودا، أليس هو الذي استطاع أن يروض العاصمة ويجعلها معقلا للفكر الإسلامي بشخصيته المؤثرة وخطبه النارية وشجاعته النادرة، بعد أن كانت العاصمة مركزا للمعمرين وأنصار الإدارة من الجزائريين؟»²⁷، ويصل أبو القاسم سعد الله في الأخير إلى هذه النتيجة: «فأتهامه بالقتل في قمة نجاح التجمع الشعبي الكبير (المؤتمر الإسلامي) يضرب عصافورين بحجر واحد كما يقول المثل، فمن جهة يضعف، إن لم يحطم، المؤتمر، ومن جهة أخرى يسيء إن لم يزعزع سمعة جمعية العلماء التي يعتبر العقبي الرجل الثاني فيها بعد ابن باديس»²⁸.

لقد تم اختيار توقيت الاغتيال بشكل دقيق جدا وهو أن يكون متزامنا مع ذلك التجمع الشعبي الذي انعقد في الملعب البلدي يوم 2 أوت 1936 من طرف وفد المؤتمر الإسلامي العائد من باريس، والذي كانت بدايته كما يذكر الطبيب العقبي نفسه على الساعة السابعة ونصف صباحاً، وأن ينتهي في حدود الساعة التاسعة ونصف من اليوم ذاته، إلا أن تأخر رئيس الوفد الدكتور ابن جلول عن الحضور في الموعد المحدد تأخر بداية التجمع إلى غاية حدود الساعة التاسعة إلا ربع، وبالتالي تسبب هذا التأخر في تأخر اختتام الحفل. «فبدلاً من أن تكون البداية على الساعة ونصف والختام على الساعة ونصف، كان البدء على الساعة إلا ربعاً والختام على الحادية عشر وربع»²⁹. ويقول العقبي أن هذا التأخر كان مفاجئاً وغير مقصود ولا معلوما لدى أي أحد كان «حتى أننا لمنا الرئيس عليه، واعتذر بما قد يكون صادقا عنه»³⁰.

إن عملية الاغتيال وقعت في حدود الساعة التاسعة ونصف صباحاً أي في الوقت الذي كان مقرراً فيه اختتام التجمع، إلا أن الذي حدث هو أن الاغتيال وقع في الوقت الذي كان فيه الدكتور ابن جلول يلقي خطابه، ولكن مهما يكن من أمر توقيت عملية الاغتيال، ولا كيف حدثت، المهم أن الاغتيال وقع ومرتكب الجريمة كان من ذوي السوابق العدلية صدرت في حقه ثمانية أحكام بجنايات مختلفة منها القتل والسرقة والاعتداء وغيرها، وذلك مقابل مبلغ مالي وقدرة ثلاثون ألف فرنك، وعند إلقاء القبض عليه اتهم الشيخ الطبيب العقبي والسيد عباس التركي محمد علي بأنه هو الذي كلفه بارتكاب هذه الجريمة³¹. إذ يقول أحمد توفيق المدني الذي يعد شاهد عيان على الجريمة التي وقعت بالقرب من مكتبه بشارع (لالير) [شارع بوزرينة حالياً]: «وحيء بعكاشة للنادي كأنه وحش ومعه رجال السلطة فأراهم المكان الذي

اتفقوا على أن يكون محل المؤامرة وقال لهم: إن هذا هو الذي كان مع العقبي عند تسليم الخنجر، وهو الذي حثني معه على القتل، وأشار إلى سيد فاضل كريم، مؤمن مصلح، وطني مسالم، هو السيد الشيخ عباس التركي فألقت السلطة القبض على الشيخ العقبي وعلى الصديق عباس التركي وسيقا مقيدين بالحديد إلى سجن بارباروس وزلزل الذين آمنوا زلزالا شديداً! ³².

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فإنه يتساءل في استغراب: «ماذا يريد الكائدون من وراء هذه المكيدة؟ تفتيش نادي الترقى (بيت الأمة الجزائرية)، تفتيش إدارات جريدة البصائر وجمعية العلماء والجمعية الخيرية، حجز دفاتر وأوراق الإدارات المذكورة، إغلاق النادي وتلك الإدارات كلها، ضرب الحصار على النادي بقوات البوليس والحرس المدني والجاندرمة، والجيش الأسود، الخروج بالأستاذ العقبي من نادي الترقى بين هذه المظاهر الرهيبة، الغاية من هذه الإرهابات، تلقي الأمة للصدمة بالصبر والهدوء التام» ³³.

ومن حقنا أن نتساءل هنا لماذا تصرفت الإدارة الاستعمارية بهذا الشكل المتشدد حيال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خاصة وأن الحادثة ما هي إلا مجرد جريمة قتل لو لم تكن بصدد تنفيذ مخطط محكم للانقضاض على جمعية العلماء وتخطيط المؤتمر الإسلامي، وبالتالي فهل كان هدف أصحاب هذا المخطط هو تحريك أنصار ومحبي جمعية العلماء المسلمين ومريدي وتلاميذ الشيخ الطيب العقبي للخروج إلى الشوارع، ومن ثم اتخاذ ذلك من السلطات الاستعمارية ذريعة للقمع والتنكيل بمؤلاء، والقيام بحل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودليلنا على هذا المذهب الذي ذهبنا إليه ما كتبه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: «كانت النفوس تأثرة، ولكن الله لطف فكانت القيادة للعقل لا للعاطفة، وكانت الجماهير المحتشدة عند حسن

الظن بها، ومن خفي لطف الله أن كان الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء حاضرا ومعه الأستاذ محمد خير الدين وكاتب هذه الأسطر وجماعة من الأساتذة العاملين في الجمعية فتقدمنا إلى الجمهور الحاشد أن يتلقى الصدمة بالصبر وأن يقابل المكيدة بما يحيطها ففعل وانقاد، وبثنا في الأحياء دعاة يدعون إلى الهدوء والسكينة فامتلئ الناس، ومرت أيام اعتقال الأستاذ المظلوم من دون أن يحدث فيها ما يكدر الأمن أو يخل بالنظام، وكان هذا أول فشل للمكيدة ومدبريها وردهم الله بغيظهم لم يبلغوا أملا والحمد لله»³⁴.

ويمكن لنا القول هنا أنه لحسن حظ الجمعية أن أصحابها تفتنوا منذ الوهلة الأولى أن هناك مؤامرة محبوكة بإحكام للإطاحة بها، لهذا كان رد فعلهم هادئا ورزينا ومتعقلا إذ يقول أحمد توفيق المدني: «اجتمعنا حالا في النادي مع من كان حاضرا من رجال جمعية العلماء ومن رجال النادي، وتداولنا في القضية من كل وجوها ودرسنا كل احتمالاتها وقررنا:

- 1- أن العقبي ذهب ضحية غدر إداري ومؤامرة استعمارية سافلة.
- 2- أنه لا يقصد بها شخصه، بل يقصد بها جمعية العلماء كافة والنادي.
- 3- أنه إذا نجحت الإدارة في لعبتها فإنها ستقضي على الجمعية وعلى النادي معا.
- 4- علينا أن نلتف حول العقبي بكل قوانا، وأن ندافع عنه بأقصى ما لدينا من الجهود المادية والأدبية، وأن نظهر براءته، وأن نلصق التهمة بمرتكبيها الأصلي، الإدارة الحكومية.
- 5- علينا أن نتغلب على دعاة الهزيمة، وعلى دعاة السوء، وعلى الأعداء الظاهرين والمستترين، الذين يحاولون طعننا من خلف ومن أمام، وأن نحافظ على جمعية العلماء وعلى كامل نظامها، كما نحافظ على النادي»³⁵.

تداعيات عملية الاغتيال

بعد مرور أسبوع واحد فقط من اعتقال الشيخ الطيب العقبي وصاحبه عباس التركي تم إطلاق سراحهما، لأن مرتكب الجريمة (عكاشة) تراجع في اتهامه للعقبي أنه هو محرضه على قتل المفتي كحول بن دالي، وتبرير عكاشة لتراجعه أمام قاضي التحقيق أنه كان يريد إعطاء القضية صبغة سياسية حتى ينجو بنفسه من حبل المشنقة حيث قال للقاضي: «إني رجل محترف لا أنتسب لمذهب ديني أو حزب سياسي»، وهنا قرر قاضي التحقيق تبرئة المتهمين العقبي والتركي وإطلاق سراحهما بشرط البقاء في العاصمة إلى غاية نهاية التحقيق³⁶.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا من هو المحرض على ارتكاب هذه الجريمة؟ وما هو الدافع الذي دفع بعكاشة إلى اغتيال المفتي؟

يقول الشيخ فرحات بن الدراجي وهو أحد كتاب جريدة البصائر أنه أطلق سراح الشيخين «لأن المتهم بقتل ابن دالي رجع عن قراره الأول وصرح أمام قاضي البحث بأن البوليس السري أنزل به صنوف من العذاب وأكرهه على القول بأن الأستاذ العقبي وعباس هما اللذان أغرياه بالقتل»³⁷، وهنا ينبغي التسجيل أنه إذا صح هذا الكلام فهو دليل قاطع على وجود مؤامرة حقيقية ضد الجمعية مرسومة ومحبوكة من الإدارة الاستعمارية.

ولقد ظلت هذه القضية معلقة في المحاكم الفرنسية إلى غاية 28 جوان 1939.³⁸

ولقد كانت لعملية الاغتيال تداعيات كثيرة على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكذا على مستقبل المؤتمر الإسلامي، حيث ساهمت هذه الحادثة بشكل مباشر في تحطيم المؤتمر

الإسلامي والقضاء عليه، فاتهم الشيخ الطيب العقبي بالتحريض على قتل المفتي دفعت بالدكتور ابن جلول إلى إصاق التهمة بكامل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين «وقال أنه لا يشترك في حركة تعمد إلى القتل وإغمد الخناجر في قلوب المعارضين»³⁹، ويقول أبو القاسم سعد الله: «فعلى إثر ذلك وافق ابن جلول على اتهام العلماء بالاغتيال واستقال من رئاسة المؤتمر»⁴⁰.

ويبدو أن الدكتور محمد الصالح بن جلول قد أدرك أن الإدارة الفرنسية قد غضبت عليه عندما قبل المشاركة في المؤتمر الإسلامي، هذه المشاركة التي كانت على مضض، حيث أنه كان مترددا بشكل كبير، فمثلا عندما اجتمع أعضاء الوفد الرسمي لوضع الترتيبات الأخيرة قبل السفر إلى فرنسا يوم 18 جويلية اعتذر عن حضور الاجتماع رغم أنه كان رئيسا للوفد، ورئيسا للجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي ورئيسا له أيضا⁴¹.

وجاءت حادثة الاغتيال ليستعملها حجة وذريعة للتوصل من عضوية المؤتمر الإسلامي، فقام بعد مرور يومين فقط من حادثة الاغتيال أي يوم 4 أوت ليخرج للعلن بالتصريح التالي: «نحن لسنا شيوعيين، ليس لدينا ما يجمعنا بالشيوعية ولا نريد معرفتها فما بالك إتباعها وأقولها لكم مرة أخرى ومن كل أعماقي، بعد خطاب مصالي وبعد اغتيال المفتي بن دالي كحول انهارت الجسور، فكل ما ليس فرنسي فسوف يكون بالنسبة إليّ منبوذا وسوف ألاحقه بلا رحمة»⁴².

وتوجه أيضا إلى نائب كاتب الدولة للداخلية لإدانة استعمال العنف في الصراعات السياسية، وعبر له عن رغبته في أن لا تغتنم السلطات الفرنسية قضية اغتيال المفتي كحول لتأخير إنجاز الإصلاحات لفائدة الأهالي⁴³. ولكن ينبغي أن نسجل هنا أن حادثة الاغتيال لم

تكن هي الحجة والذريعة الوحيدة التي استعملها للتنصل من مسؤولياته في المؤتمر الإسلامي، بل وجدناه أيضا يستعمل ذريعة تواجد الشيوعيين في هذا المؤتمر، مع العلم أن وجود هؤلاء معهم في المؤتمر كان منذ البداية بل منذ الشروع في عملية التحضير لعقد المؤتمر، وبالتالي فإن هذه الحجة واهية وغير مؤسسة، كما استعمل أيضا حضور مصالي الحاج إلى التجمع الشعبي الذي انعقد يوم 2 أوت بمناسبة رجوع الوفد من فرنسا كحجة ثالثة.

ولقد طالبت اللجنة التنفيذية للمؤتمر من الدكتور ابن جلول الذي هو رئيسها تكذيب كل تصريحاته بشأن الجمعية والتراجع عن الموقف الذي اتخذته بشأن اغتيال المفتي كحول، وطالبته بالاعتراف بأخطائه وتقديم التفسيرات المقنعة عن الأفعال المنسوبة إليه، خاصة أن تصريحاته في نظر أعضاء اللجنة التنفيذية كانت كلها «منافية تماما لروح المؤتمر وبرنامجه»⁴⁴، ومنها ذلك التصريح الذي قدمه لجريدة *Marseille Matin* في عددها الصادر يوم 13 أوت 1936 والذي جاء فيه: «ما هي في الحقيقة جمعية العلماء؟ إنها جمعية مسلمين يريدون أن يعيدوا للإسلام كل قوته وكل صفاته الأصلي، وهذا يمكن أن يؤدي إلى بعيد، ومن ذلك إلى القومية الإسلامية، التي اعتبرها خطرا، لقد تورطت جمعية العلماء في اغتيال مفتي الجزائر فما هي حثيات هذا الاغتيال، إذا ثبت أن العلماء مسؤولون عن هذا الاغتيال فلي قناعة شخصية بأن الدوافع ذات طابع ديني صرف، وإن كان للعلماء ميول قبيح للاجتذاب في الفخ الشيوعي»⁴⁵.

إلا أن الدكتور ابن جلول كان قد عقد العزم على تطبيق المؤتمر الإسلامي، بل والأكثر من ذلك وجدناه يقيم زردة بقسنطينة يوم الأحد 10 أكتوبر 1936 وتحديدا بمقرها رفقة مجموعة من المرابطين الطريقين والذين خاطبهم بكل مودة وعطف بأن كل الذين

سيرتدون العمامة الخضراء سوف تكون خاتمتهم الجنة، وخلالها أوصى بضرورة التعاون مع فرنسا بالعمل الشامل معها.

ولقد اعتبرت الجمعية هذه الزردة عملا موجها ضدها وأنها بمثابة «الشتيمة في حق المؤتمر الإسلامي الجزائري» وهذا من خلال جريدة البصائر اللسان الناطق باسم الجمعية، حيث قامت هذه الجريدة بنشر العديد من المقالات بشأن هذه الزردة وتأسفت لرؤية الدكتور بن جلول «يناقش الزردة في الوقت الذي تناقش فيه الأمم السياسة»⁴⁶.

وقام الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بكتابة مقال مطول بشأن هذه الزردة وكذا تصرفات الدكتور ابن جلول، وكشفه على حقيقته، بل وقام بتعريضه للأمة تحت عنوان (ليست الزردة وحدها ولكن وراء الأكمة ما وراءها)⁴⁷، وأول سرّ كشفه ابن باديس عن الدكتور ابن جلول هو محاولته لعرقلة المؤتمر الإسلامي، ويبدو أن ابن باديس تفطن لما كان يغري الدكتور وهو حب الظهور فقام بتقديمه ليكون رئيسا عليه «ولما جاء تأسيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر قدمه رئيس الجمعية لرئاستها فوقع الاتفاق على قوله، ولما رجع الوفد وقفل هو ورئيس الجمعية إلى قسنطينة وخرجت البلدة كلها للقاءهما في يوم مشهود، خطب رئيس الجمعية في تلك الجموع وقال لهم: ثقوا بالله ثم بأنفسكم ثم برئيس المؤتمر، وكنا -علم الله- إلى ذلك اليوم، وبعد ذلك اليوم، عاقدي العزائم على العمل معه في ظل المؤتمر إلى غاية ما نستطيع».

ويقول ابن باديس أن حادثة الاغتيال المشؤومة تسببت في اغتيال عقل الدكتور ابن جلول الذي شرع في اتهام الجمعية، سابقا بذلك أعدائها بأنها هي التي كانت وراء الحادثة «ووقعت حادثة الاعتقال الباغية فاهتبلها فرصة للإيقاع بالجمعية، فطار الرجل إلى باريس

يحمل معه تصريحاته... تلك التصريحات التي لم يقل مثلها -مجتمعة- احد من أعداء الجمعية والباغين لها الشر على كثرهم فيها»، ولقد طالبه بعض أعضاء اللجنة التنفيذية بالتكذيب ولكن دون جدوى وطالبت الجمعية عبر جريدتها البصائر بالتكذيب ولكن بدون طائل.

ويقول ابن باديس في مقالته أن أحد النواب أخبره أن الدكتور ابن جلول عقد اجتماعا لجمعية النواب قبيل الاعتقال، وأظهر من حنقه على الجمعية وعزمه على البطش بها ما أفرع ذلك النائب «وتركه ليالي مهتما بما سيكون من الدكتور ضد الجمعية».

وقام أحد كتاب البصائر وهو مصطفى بن حلوش بكتابة مقال عن هذه الزردة بعنوان (زردة ابن جلول والرجوع بالأمة إلى الضلالات)⁴⁸، ويقول فيه أن ابن جلول من خلال إقامته لهذه الزردة بعد تلك التصريحات الخطيرة التي تفوه بها ضد الجمعية يريد أن «يستميل الأمة بل الغفلة منهم عن طريق الإطعام في المقابر كما يفعل بعض مشايخ الطرق» ويقول أن معلومات بلغته أن هذه الزردة ممولة من بعض رجال الإدارة وبعض الذوات البارزة من هيئات المعمرين.

ويتساءل صاحب المقال «ثم ما هذه الستارات الخضر التي يعلقها الدكتور على صدور البسطاء والغافلين؟ وما هذه العبارة التي كتبت على كل ستارة: (السلاح النبوي الأخضر)، فهل يريد الدكتور أن يعلن الحرب الدينية على الكفر، وقد لا يكون معترفا بالدين؟ أم يريد أن يمثل دور الدجل السياسي باسم الدين؟».

ولقد دخل الطيب العقبي ساحة هذا الجدل بشأن قضية ابن جلول وتصرفاته، والقيام بإبعاده عن المؤتمر الإسلامي بمقالة نشرها على صفحات جريدة البصائر⁴⁹ بعنوان (حول قضية

ابن جلول، حبذا لو يتم الصلح وترجع المياه إلى مجاريها)، وفيها يعلن قبوله الدعوة التي تقدم بها الكاتب العام للمؤتمر الإسلامي السيد ابن الحاج بهدف الصلح بين الأطراف المختلفة ولقد سعى العقبي من خلال هذه المقالة إلى تهدئة الأجواء ويقول مخاطبا الدكتور «فهيا يا أيها الحكيم الرشيد إلى التنازل والفض ولو قليلا من حظوظ النفس إلى ما فيه صالح الجميع... إن الرجوع إلى الحق فريضة وليس الرجل العظيم الذي لا يخطئ أبدا بالذي يتمادى على خطئه إن أخطأ، ولكن العظيم كل العظيم هو من إذا عرف الحق رجع إليه».

ولكن لا الصلح تم ولا المؤتمر الإسلامي الجزائري بقي صامدا ولكن الجمعية بقية واقفة بفضل رجالها الذين تمكنوا من تجاوز هذه المحنة الأزمة الحادة التي كادت أن تعصف بها، خاصة وأنها كانت مترامنة مع محاولة اغتيال أخرى وكان المقصود بها الشيخ أحمد الحبيباني في نفس ذلك الأسبوع لاثام الشيخ ابن باديس أو بعض أتباعه بقتله إلا أن المحاولة فشلت لأن الرصاصات التي أطلقت عليه لم تصبه بسوء ولم يعرف الجاني، واكتفت الشرطة بإجراء بحث مع المجني عليه لمعرفة أعدائه لاثامهم بتلك المحاولة ولكن الشيخ أصر بأنه لا عدو له⁵⁰.

وتجاوز رجالات الجمعية لهذه المحنة-الأزمة برز واضحا خلال انعقاد الاجتماع العام الخامس للجمعية في نادي الترقى خلال شهر سبتمبر 1939 أي بعد مرور حوالي أقل من شهر منها، وهو ما جعل نائب رئيس الجمعية الشيخ الإبراهيمي يقول في خطابه خلال اليوم الأول للاجتماع أن الذين دبروا الحادثة ظنوا «أنها القاضية على الجمعية والخانقة لأنفاسها والمقوضة لها من أساسها، فكانت علينا كنار الخليل بردا وسلاما، وإنها لأول حادثة في تاريخ الجمعية جمعت بين الضدين: بسوء الوقع وحسن الأثر، لقد امتحن فيها إحساس الجمعية ومس فيها مكنن الطير، من الأمة الإسلامية...»⁵¹.

الهوامش:

1. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1930 - 1945، الجزء الثالث، (دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان 2005)، ص 151.
2. عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، 1936-1945، الجزء الثاني (منشورات السائح، الجزائر 2010)، ص 14.
3. عقد المؤتمر في قاعة الماجستيك.
4. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الأول 1929-1940، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997)، ص 231..
5. المصدر نفسه، ص 234.
6. المصدر نفسه، ص 231.
7. المصدر نفسه، ص 250.
8. عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي، مصدر سابق، ص 12.
9. المصدر نفسه.
10. عن هذه المطالب انظر: أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 261 - 262.
11. الشيخ محمد خير الدين: مذكرات، الجزء الأول، (المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر)، ص 327 - 328.
12. أبو القاسم سعد الله، مصدر سابق، ص 152.
13. محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 - 1939، ترجمة محمد بن البار، الجزء الأول، (دار الأمة، الجزائر، 2011)، ص 555.
14. آثار محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول، مصدر سابق، ص 247.
15. أبو القاسم سعد الله، مصدر سابق، ص 152 - 154.
16. عن محتويات مشروع بلوم فيوليت انظر: - عبد الرحمن ابن إبراهيم بن العقون، مصدر سابق، ص 495 - 496.
- محفوظ قداش، مصدر سابق، ص 531 - 536.
17. آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 232.

18. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات، الجزء الثاني، (عالم المعرفة، الجزائر، 2010)، ص 363.
19. آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 236.
20. آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 258.
21. المصدر نفسه، ص ص 254 - 256.
22. مجلة الشهاب العدد الصادر في سبتمبر 1936، (كلمة قالها ابن باديس).
23. عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، مصدر سابق، ص 48.
24. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005)، ص 484.
25. محفوظ قداش، مصدر سابق، انظر الهامش رقم 104 ص 592.
26. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، مصدر سابق، ص 100.
27. المصدر نفسه.
28. المصدر نفسه، ص 101.
29. انظر مقالته في جريدة البصائر العدد الصادر يوم 25 سبتمبر 1936 بعنوان (لفت نظر إلى الحقيقة قد ينير السبيل أمام قاضي التحقيق (م. فيان).
30. المصدر نفسه.
31. للمزيد من المعلومات عن هذه الجريمة وكيف حدثت انظر:
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، مصدر سابق، ص ص 41 - 48.
- الشيخ محمد خير الدين، مذكرات، مصدر سابق، ج 1، ص 339.
- أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسلطان بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، الجزء الأول، (دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1984)، ص ص 332 - 340.
32. أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص 369.
33. آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 361.
34. آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 365.
35. أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص ص 369 - 370.
36. عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، مصدر سابق، ص ص 46 - 47.

37. جريدة البصائر العدد الصادر يوم 28 جويلية 1939، انظر الحلقة الأولى من المقالة الموسومة (براءة الأستاذ العقبي والسيد عباس التركي، وقل جاء الحق وزهق الباطل).
38. للاطلاع على سير هذه المحاكمة وتطوراتها انظر مقالة فرحات بن الدراجي المنشورة في جريدة البصائر على ثلاث حلقات في أعدادها الصادرة أيام:
 - 28 جويلية 1939.
 - 04 أوت 1939.
 - 11 أوت 1939.
 وهي بعنوان (براءة الأستاذ العقبي والسيد عباس التركي، وقل جاء الحق وزهق الباطل).
39. أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص 368.
40. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، مصدر سابق، ص 101.
41. المصدر نفسه.
42. محفوظ قداش، مصدر سابق، ص 582.
43. المصدر نفسه، ص 583.
44. محفوظ قداش، مصدر سابق، ص 583.
45. المصدر نفسه، الهامش رقم 113، ص 593.
46. جريدة البصائر في عددها الصادر يوم 23 أكتوبر 1936.
47. انظر المقال كاملا في جريدة البصائر العدد الصادر يوم 13 نوفمبر 1936 وهو بعنوان (ليست الزردة وحدها، ولكن وراء الأكمة ما وراءها...).
48. جريدة البصائر، 9 أكتوبر 1936.
49. جريدة البصائر، 6 نوفمبر 1936.
50. الشيخ محمد خير الدين: مذكرات، مصدر سابق، ص 339-340.
51. آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 381.